العروض

المدخل الى دراسة الاستراتيجية

الاستاذ الدكتور عبد القادر محمد فهمي
استاذ الاستراتيجية والعلاقات الدولية
كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد

عرض الكتاب

الاستاذ الدكتور جميل مصعب جميل (*)

تحضى الاستراتيجية، كموضوع، بأهتمام متزايد وواسع النطاق من لدن المفكرين والمثقفين والاكاديميين، فضلاً عن اهتمام النخب القيادية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية لما لها من تماس شديد وعلاقة وثيقة بالعديد من مجريات السياسية الدولية. وهذه الجاذبية التي تتحلى بها الاستراتيجية جعلت منها مفردة مقترنة بجملة افعال لا حصر لها وان لم تكن ذات طبيعة سياسية. فكلمة (استراتيجية) تستخدم اليوم في مختلف ميادين الحياة، وفي انشطة وفعاليات عديدة حتى اصبح من الصعوبة بمكان تحديد ما المقصود بها على وجه الخصوص. ولاشك ان هذه السيولة في استخدام المصطلح ان دلت على شيء انما تدل على اهمية الاستراتيجية كموضوع تفرض علينا موجبات الضرورة العلمية والموضوعية دراستها وتحديد ماهيتها، وخاصة بالنسبة لطلبة العلوم السياسية حيث تلامس هذه المادة العديد من الموضوعات التي ينشغلون بدراستها، ومن الطبيعي لا يستثني هذا الانشغال بقية المثقفين والمفكرين والرسميين من خارج الوسط الاكاديمي.

في ضوء هذه الحقائق نأتي اهمية الدراسة التي وضعها الاستاذ الدكتور عبد القادر محمد فهمي في مؤلفه الذي يحمل عنوان (المدخل الى دراسة الاستراتيجية)، ذلك ان المؤلفات المنهجية والمراجع العامية في ميدان علم الاستراتيجية تعد قليلة، بل شحيحة بالقياس الى ما كتب في حقل العلوم السياسية وعلى اختلاف فروعها والموضوعات التي تعنى بدراستها. صحيح ان هناك العديد، بل الكثير من الدراسات التي تصنف كونها (دراسات ستراتيجية) وفي موضوعات متعددة ومتنوعة، الا انها تفتقر، وفي الوقت نفسه، الى وحدة الموضوع في هذا الجانب من جوانب المعرفة العلمية. أي انها تفتقر الى وجود اكثر من مرجع منهجي يجمع المفردات الاساسية التي يختص بها علم الاستراتيجية ليكون بالتالي مدخلاً فكرياً-منهجياً لطالب العلوم السياسية،

(*) كلية العلوم السياسية.جامعة بغداد

يسهم وعلى نحو فاعل في تشكيل مرتكزات قاعدته المعرفية، ويفتح امامه آفاقاً رحبة وخصبة للتأمل والبحث في موضوعاته.

وفي الواقع، لا تعد مسألة ولوج سبل البحث العلمي في موضوع الاستراتيجية، وعن المستويين النظري والتجريبي، امراً وافر السهولة. اذ تطرح مسألة دراستها اشكاليتين رئيسيتين، اولهما فكرية، وثانيهما منهجية. وتتحدد ابعاد الاشكالية الفكرية بالاطار والمضمون المفاهيمي الذي تنطلق منه الاستراتيجية ذاتها. وهنا يثار السؤال حول ما الذي تعنيه الاستراتيجية حصراً؟ هل هي تختص بالجوانب العسكرية لتكون بالتالي وثيقة بالعلم العسكري؟ او انها تختص بالجوانب والانشطة السياسية لترتبط بعد ذلك بالعلوم السياسية؟ او ان الاستراتيجية تحمل خاصية مركبة تجمع ما بين الجوانب العسكرية والسياسية معاً.

هذه الاشكالية المفاهيمية تطرح بدروها اشكالية اخرى ذات طبيعة منهجية مفادها، ما هي (الطريقة) او (الاداة) التي يستعين بها الباحثون او الدارسون للكشف عن حقيقة الموضوع او الظاهرة المعنية دراستها؟ بمعنى، كيف يمكن دراسة الاستراتيجية؟ هل تتم بالاستعانة بأدوات العلم العسكري؟ او بأدوات ووسائل البحث المتبعة في علم السياسية؟

وفي ضوء هاتين الاشكاليتين حرص المؤلف على معالجة الجوانب النظرية والتطبيقية التي يتشكل منها علم الاستراتيجية وبأبعادها السياسية والعسكرية في اطار وحدة فكرية تأخذ بنظر الاعتبار ما تفرضه الضرورات العلمية-الاكاديمية لتغطية القسط الاكبر من موضوعاته.

يتألف الكتاب من أحد عشر فصلاً تجمع ما بين الدراسة النظرية والتطبيقية. يختص الفصل الاول بالاطار المفاهيمي لموضوع الاستراتيجية. فيتناول المفهوم بمعناه الاصطلاحي والتعريف به وتحديد نطاق واوجه استخدامه. كما يتضمن التمييز بين الاستراتيجية العسكرية بمعناها الضيق، والاستراتيجية القويمة بمعناها الشامل. كما يسعى هذا الفصل الى فك الاشتباك بين مفردات متداخلة كالاستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية. ومفهوم السوق والتبعئة، وبين الاستراتيجية والتكتيك.

ثم يعالج المؤلف في الفصل الثاني العلاقة بين الاستراتيجية وموضوعات وثيقة الصلة بها، وهي النظرية الجيوبولتيكية والنظرية الجيوستراتيجية. وما يلفت الانتباه في هذه المعالجة، ان ثمة فوارق بين النظريتين. اذ يبدو ان هذا التمييز بين المقومات الفكرية للنظريتين الجيوبولتيكية والجيوستراتيجية، وكما يذهب المؤلف، قد غاب عند العديد من الباحثين والدارسين، الامر الذي دفع بهم الى الوقوع في اخطاء مفاهيمية ومنهجية مردها ضعف

ادراك الابعاد الوظيفية والبنيوية التي تسهم في بناء كل من النظريتين. ان الاختلاف بين النظريتين تحكمه مقومات بنيوية واخرى وظيفية. ففي الوقت الذي تعنى فيه النظرية الجيوبولتيكية بالدولة وتعتبرها وحدة التحليل الاساسية في فهم حركتها المتأثرة بالاقليم المتواجدة فيه، فان النظرية الجيوستراتيجية تنطلق من الخصائص الاستراتيجية للاقليم واثرها في تحركات وسياسات القوى العالمية.

وضمن هذا الفصل ايضاً، يتناول المؤلف الماكندرية الجديدة التي تفرض، خلافاً لفرضيات نظرية (ماكندر) ان قلب العالم لا يحتل بالضرورة منطقة جغرافية تحتل وسطه الجغرافي، انما اية منطقة اخرى تملك مقومات استراتيجية تشكل موضع استقطاب واهتمام القوى الدولية. وهذا تشكل منطقة الخليج العربي ما يشبه قلب العالم في ادائها الوظيفي بما تمثله من منطقة فائقة الحيوية ولا ينكر احد اهميتها في رسم استراتيجيات القوى العظمى والكبرى حياتها.

ويتناول الفصل الثالث ظاهرة غاية في الخطور والاهمية في السياسة الدولية وهي ظاهرة الحرب. فينصرف المؤلف الى دراسة ماهيتها ومكانتها في الفكر الانساني، حيث عرفتها المجتمعات الانسانية منذ بداية تشكلها كواحدة من انماط التفاعل السلوكي والتراث الحضاري القديم كالتراث الحضاري الصيني والهندي والمسيحي والاسلامي. كما يعالج هذا الفصل اسباب الحروب ودوافعها واشكالها وانواعها كالحرب المحدودة، والحرب الوقائية، والحرب العادلة، والحرب غير النظامية.

ويحمل الفصل الرابع من الدراسة عنوان، استراتيجية المجابهة والصراع، فيتناول ثلاثة انواع من هذه الاستراتيجيات هي، التقليدية والنووية والاستراتيجية التكنومعلوماتية وهذه الاخيرة تتميز عن سابقاتها كونها تمثل نمطاً من التفكير الاستراتيجي سواء في مكوناتها او في طريقة ادائها، والمقوم الذي تنهض عليه هذه الاستراتيجية هو الثورة المعلوماتية، وما ادخلته من مبادئ ومفاهيم بسبب من خصائصها على منظومات عديدة من الاسلحة كان لها عظيم الاثر على العقائد العسكرية. ويتوصل المؤلف في نهاية دراسته لهذه الاستراتيجية الى ان الحرب الحديثة، وخصوصاً التي تخوضها الولايات المتحدة، تحكمها ثلاثة منظومات قتالية. الاولى، منظومة الاسلحة الجوية والصاروخية. والثانية منظومة الاقمار الصناعية والفضائية. والثالثة، منظومة القيادة والسيطرة. وهذه المنظومات الثلاث تعتمد في ادائها القتالي على ثورة المعلومات والاجهزة الكومبيوترية ولا تغفل الدراسة في فصلها الخامس واحداً من بين اكثر الموضوعات اثارة في الدراسات الاستراتيجية وهو موضوع الردع. اذ يتم تعريفه وتحديد معناه

وتبيان خصائصه وآلية عمله، والعناصر التي تميز بين نوعين من الردع في ظل الاسلحة المستخدمة وهما الردع التقليدي والردع النووي.

اما الفصل السادس، فقد انشغل بدراسة الازمة الدولية والتعريف بها وتحديد ماهيتها والطرائق المتبعة في ادراتها بهدف معالجتها والتخفيف من حدة الاثار التي قد تترتب على تطور مساراتها.

اما الفصول المتبقية، السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، فقد انصرفت الى دراسة نماذج تطبيقية لاستراتيجيات بعض القوى الاقليمية والدولية وما طرأ عليها من تغيرات تواكب المستجدات الاقليمية والدولية، وهذه الاستراتيجيات هي الاسرائيلية، الاستراتيجية الاوروبية، والاستراتيجية الصينية، والاستراتيجية الروسية، واخيراً الاستراتيجية الامريكية بمضامينها الجديدة.

ان مؤلف الدكتور عبد القادر محمد فهمي الموسوم بــ(المدخل الى دراسة الاستراتيجية) يمثل اضافة نوعية للمكتبة العراقية والعربية. ونتمنى ان يكون مرشداً للمعنيين بالدراسات الاستراتيجية يعينهم على اثراء واغناء هذا الحقل من المعرفة العلمية بالمزيد من البحوث والدراسات العلمية والجادة والرصينة خدمة لمسيرتنا العلمية.

جامعة بغداد
مكتبة كلية العلوم السياسية